حقوقهم ، وفي فهمهم للشيوعيين الذين يعيشون بينهم وتحاملهم ضد هؤلاء الشيوعيين بسبب فكرهم التقدمي وبسبب دفاعهم عن المناضلين الفلسطينيين (المخربون اعداؤنا ونعرف كيف نعاملهم · اما المصيبة فهؤلاء الشيوعيون القذرون ، الذين يدافعون عن المخربين هنا في بيتنا ! لو ان لدينا حكومة رجال لألقت بهم جميعا في السجن) ·

من خلال اقامة هذه المقارنة بين عقليتين يصل القاسم الى حتمية انتصار الشعب الفلسطيني وحتمية انهزام الفكر الصهيوني الرجعي من خلال صورة مقتل « اوري » في الصدام الذي جرى بينه وبين الفلسطيني · فقد تقدم « اوري » شاهرا سكينه لقتل الفلسطيني فسقط عليه فرع من فروع الشجرة الفلسطينية النادرة الكثيرة التي لا تحصى فمزق جسده · وهنا صرخ الفلسطيني (اوري ايها الفتى المسكين لماذا انتحرت ؟) وذلك هو الواقع ، فالفلسطيني لم يقتله وانما قتله فهمه الرجعي وانغلاقه ·

ونتيجة لهذا الفهم المتناقض لطبيعة القضية بين الفلسطيني والاسرائيلي فان اللقاء بينهما مستحيل ـ وقد عبر الكاتب عن ذلك باللقاء الذي لم يتم بينه وبين « ايلانة » رغم كل الجهود « فايلانة » حبيبة « اوري » تلك الفتاة التي اصيبت بالضياع نتيجة مقتل حبيبها استثارت عطفه · فحدد موعدا الساعة السابعة مساء للقاء بها في مقهى « كسيت » الا ان الفارق بين توقيته وتوقيت ايلانة حال دون هذا اللقاء (اسابيع عديدة ضاعت هباء ونحن نحاول اللقاء · ايلانة في السابعة وانا في السابعة · غير ان ساعات عديدة كأنها قرون بكاملها ظلت تفصل بيننا) ·

ومع ذلك فلا يحمل الكاتب الطرف الاخر مسؤولية استمرار المأساة منفردا · فعجز الفلسطيني عن تقديم صورة تحليلية علمية عن المأساة هو عامل هام · الكسب العاطفي ليس كافيا يجب ان تكسب المعركة في ذهن العالم · وهنا يحاول الكاتب ان يظهر ان هذا النضال السياسي الدبلوماسي لا يقل اهمية عن القتال ، وانه الى جانب ذلك الجزء من العالم الذي لم يفهمنا الا عبر الكلاشينكوف هناك من يستطيع ان يفهمنا فعلا بغير هذه الوسيلة ·· ففي لقاء مع كونراد الشيوعي الالماني الذي التقاه الكاتب في موسكو دار حوار هذا جزء منه :

(·· اريد تحليلا علميا لما حدث ويحدث على ارضكم · حين قلت لكونراد « ان العالم لا يريد ان يفهمنا الا عبر الكلاشينكوف » ، احمرت اذناه وغمغم بلهجة خيل الي انها عاتبة بعض الشيء : « كن واثقا انني افهمكم ·· كن واثقا » ·) وقد عبر عن ذلك باشارة مقتضبة سريعة · فالفلسطيني الذي التقاه في موسكو روى تفاصيل مأساته على ضفتي الاردن بأسلوب دقيق ومؤثر (كانت مياه الاردن تتدفق وتهدأ وتخر وتزحف وتهيج وتلين مع كل كلمات ذلك الفلسطيني التائه · ظل نهر الليلك ، غير المقدس ظل جاريا ، ولا ريب في ان ليلك الاردن هو الذي يبلل مخدتي كل ليلة) · ومع ذلك فالكاتب اشار الى ان هذا الفلسطيني اهداه قداحة ·· وهذه القداحة جميلة ولكنها لا تعمل ·

ومع ان واقع المأساة واسبابها هي من العناصر الرئيسية في الرواية الا ان الكاتب دمج باسلوب فذ بين هذه ورؤياه وتداعياته في صورة واحدة متكاملة الاجزاء متقنة الترابط · فمع انه قسم الرواية الى ستة فصول هي بالترتيب : الانشطار ، الهاوية ، المواجهة ، المستحيل ،